

الرحمة مجمع الفضائل

2017-01-22 الشيخ عبدالله يوسف

إن قيمة الرحمة والرفق والشفقة والعطف من القيم الفضلى التي حثَّ عليها الإسلام، وأمر أتباعه بالتحلي بها، والعمل بمقتضاها.

فرسالة الإسلام رسالة رحمة في مصدرها ومنهجها وتشريعاتها وأحكامها، فقد وصف الله تعالى نفسه بالرحمة في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [2].

وقال تعالى عن القرآن الحكيم: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [3] فهو شفاء ورحمة للمؤمنين.

وقال تعالى عن نبيه (صلى الله عليه وآله): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [4] كما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصف نفسه بالرحمة قائلاً: «إنما أنا رحمة مهداة» [5].

وقال تعالى عن تعامل المؤمنين مع بعضهم البعض: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [6] فالتعامل برحمة ورأفة ورفق من صفات المؤمنين، إذ يجب أن تسود الرحمة بينهم.

وقيمة الرفق من القيم التي حثَّ عليها الإسلام أيضاً، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه» [7] وعنه (صلى الله عليه وآله)

أيضاً: «إن في الرفق الزيادة والبركة، ومن يحرم الرفق يحرم الخير» [8] وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «إن الله تعالى رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف» [9].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الرفق يمن والخرق شؤم» [10] ويصف هذا الحديث الرفق

باليمن، أي: البركة؛ لما له من دور حيوي وأثر نافع، والخرق: الجهل والحُمق وهو ما يؤدي إلى المشاكل والآثار السلبية.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق» [11] وقال (صلى الله عليه وآله): «إن في الرفق الزيادة والبركة، ومن يحرم الرفق يحرم الخير» [12] وقال (صلى الله عليه وآله): «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟ على كل: هين، لين، قريب، سهل» [13] وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس» [14] والأحاديث في مدح الرفق والرأفة والرحمة والعطف والشفقة كثيرة، وهذه الأخلاق من صفات المتسامحين، وأخلاق التسامح.

والرحمة مبعث الخيرات، ومجمع الفضائل، ومنبع المحاسن؛ فكلمة الرحمة في لغة العرب تدل على الرأفة والصفح، والرقّة والعفو والشفقة.

والرحمة صفة من صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وسمة من سماته البارزة، وعلامة من علاماته الفارقة؛ فقد جسّد (صلى الله عليه وآله) قيمة الرحمة في جميع أبعاد حياته، قولاً وفعلاً، فهو المبعوث رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [15].

وقد أفاض النبي (صلى الله عليه وآله) برحمته وعطفه وشفقته على كل ذي روح: على الإنسان، والحيوان، وحتى على النبات.

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) رحيماً بكل إنسان التقى به أو عاش معه أو جالسه أو صاحبه من مختلف الطبقات والشرائح: من الأحرار والعبيد، والشيوخ والأطفال، والرجال والنساء، والفقراء والضعفاء والمساكين.

وبعد أن استذكرنا قيمة الرحمة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتجسيده لها قولاً وفعلاً، وهو الذي قال عن نفسه (صلى الله عليه وآله): «إنما أنا رحمة مهداة» [16] ووصفه القرآن الكريم في أكثر من آية بالرحمة كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَّحِيمٌ ﴿17﴾ وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [18] والغاية من بعثته المباركة الرحمة فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [19].

إننا اليوم أحوج ما نكون إلى تفعيل قيمة الرحمة في جميع أبعاد حياتنا الخاصة والعامة، فنرحم بعضنا بعضاً، ونتعامل مع بعض برحمة وعطف ورأفة وشفقة بعيداً عن القسوة والغلظة التي تفسد العلاقات الاجتماعية العامة، وتدمر المجتمعات الإنسانية، وتؤدي إلى خلل في المنظومة الأخلاقية والقيمية.

والإنسان من دون رحمة يتحول إلى وحش كاسر لا يراعى حرمة لأحد، ولا يبالي بأية أخلاق أو قيم، وما نراه اليوم في مختلف المجتمعات الإنسانية من تزايد لحالات العنف والإجرام كالقتل والاختطاف والسرقة والاعتصاب وما أشبه، أو ما تقوم به بعض الجماعات المتطرفة والإرهابية من أعمال وحشية وإرهابية في مختلف البلدان إنما هو نتيجة لابتعادها عن سيرة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وتخليها عن قيمة الرحمة والرأفة والتسامح، واتباعها لأسلوب القسوة والغلظة والفظاظة والعنف مما شوّه صورة الإسلام السمحاء أمام الرأي العام العالمي، وأعطى انطباعاتاً خاطئاً -بسببها- عن أخلاق الإسلام وقيمه العظيمة.

إن كل ملتزم بأحكام الدين الحنيف، وبسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قولاً وفعلاً لابد وأن يكون ملتزماً بقيمة الرحمة والعطف والرأفة والشفقة على كل ذي روح -وخاصة الإنسان الذي كرمه الله تعالى- وكما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يفيض رحمة على كل من حوله، فليكن شعارنا كمسلمين (الرحمة) والعمل بمبدأ (الرحمة) وتفعيل قيمة (الرحمة) في كل جوانب حياتنا الخاصة والعامة.

.....

الهوامش:

[1] سورة الفاتحة، الآية:3.

[2] سورة الأعراف، الآية: 156.

- [3] سورة الإسراء، الآية: 82.
- [4] سورة الأنبياء، الآية: 107.
- [5] بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة أهل البيت، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة 1409 هـ - 1989م، ج 16، ص 115.
- [6] سورة الفتح، الآية: 29.
- [7] الوافي، الفيض الكاشاني: محمد بن مرتضى، تحقيق: السيد علي عبدالمحسن بحر العلوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1432 هـ - 2011م، ج 5، ص 260، رقم 2352.
- [8] الوافي، الفيض الكاشاني، ج 5، ص 260، رقم 2353.
- [9] الوافي، الفيض الكاشاني: محمد بن مرتضى، تحقيق: السيد علي عبدالمحسن بحر العلوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1432 هـ - 2011م، ج 5، ص 260، رقم 2351.
- [10] الوسائل، الحر العاملي، ج 2، ص 498، رقم 2742. كنز العمال، المتقي الهندي، ج 3، ص 51، رقم 5447.
- [11] كنز العمال، المتقي الهندي، ج 3، ص 53، رقم 5455.
- [12] بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 72، ص 60، رقم 26.
- [13] كنز العمال، المتقي الهندي، ج 3، ص 7، رقم 5162.
- [14] الوافي، الفيض الكاشاني، ج 5، ص 261، رقم 2361.
- [15] سورة الأنبياء، الآية: 107.
- [16] بحار الأنوار، ج 16، ص 115.
- [17] سورة التوبة، الآية: 128.
- [18] سورة آل عمران، الآية: 159.
- [19] سورة الأنبياء، الآية: 107.